رجل من زمن أخر

قصة قصيرة

جواد عامر

دار أسرد للنشر إلا لكتروني

رجل من زمن آخر

ASRUD
للنشر الالكتروني

جواد عامري

جواد عامري

ASRUD
للنشر الالكتروني

تدقيق:

خديجة الشربجي

تصميم غلاف:

رانيا السفوت .

تنسيق وتصميم داخلي:

دينا زهران

© جميع الحقوق محفوظة، لا يسمح بنسخ أي جزء من هذا الكتاب بأي شكل من الأشكال وبأي صيغة أو التصرف فيه بأي أسلوب من الأساليب بدون إذن خطي مسبق من الناشر والمؤلف معاً.

الناشر/ أسرد للنشر الإلكتروني

الوتساب الخاص بالدار: 01113536610

البريد الإلكتروني: asrud.for.e.publishing@gmail.com

إنَّ الآراء الموجودة في هذا العمل لا تعبر بالضرورة عن رأي دار أسرُد للنشر.

يمشي متهاديَ الخطواتِ، يُرسلُ طرْفهُ في أرجاءِ شارعٍ يعجُّ بالحركةِ، صَخَبُ الباعةِ المتجولين يملأُ الفضاء، ويختلطُ بأزيز دراجاتٍ وسياراتٍ لا تتوقف، عالمٌ صاخبٌ لم يألفه كثيرًا؛ فقلما يزور التهامي المدينة إلّا إذا أراد أن يظفر بوثيقة إدارية أو شراء كتبٍ، أو اقتناء بعض لوازم بيته القابع في هدأة ربوةٍ هناك في بادية مكناسة الزيتون، كان التهامي معلمًا أُحيل على المعاش يعيش وحيدًا بعد أن ماتت زوجته بسبب مرضٍ خبيثٍ لم ينفع معه علاجٌ، كثيرًا ما تردد على مستشفيات كبريات المدن دون أن يفلح الطبّ في كبح جِماح الدّاء الوبيل الّذي أتى على جسدها الغضّ، كما تأتي الريحُ السموم على الزهرة الغضّة، كانت في الأربعين من عمرها حين رحلت عن الدنيا، دون أن تحقّقَ له حلم إنجاب ولدٍ أو بنتٍ، ومع ذلك ظلّ التهامي المعلم الذي أنفق عمره في تعليم الصبية في قريته قريرَ العين راضي الخاطر، يحمد الله أن رزقه بأداء رسالةٍ نبيلةٍ يرى فيها الأولاد كلّهم على أنّهم أولاده، لذلك ظلّ حريصًا على تلقينهم أبجديات المعرفة حتّى يستوي عودهم ويزرع في حقول عقولهم الصغيرة بذور الحبّ والسّلام والتعايش والوئام والتعاون والإيثار وغيرها من نبل القيم وجميل الأخلاق، إنّه

المعلّم التهامي وإن انقضت مهمته بين جدران الفصل الذي لاتزال آثارلوحاتٍ فنيةٍ رسمها " التهامي " بريشة أخيلته المجنّحة ظاهرةً فيها، تشهد على براعة هذا المعلم المحبوب في قريته الوديعة، ولاتزال في أعلاه كلماتُ شوقي متوازنةً ينبض فيها الايقاع وتتغنى بها الألسن الصغيرة:

قمْ للمعلّمِ وفّهِ التّبجيلا كادَ المعلّمُ أنْ يكونَ رسولَا

وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾، كتبت بخطٍّ جميلٍ على الجدار الأصفر فوق سبورة القسم الخشبية،..

كان التهامي يقضي أغلب وقته في مكتبته يكتب خواطره وقصائده ومقالاته، فقد كان التهامي محبًا للكتابة والقراءة، ينفق الوقت كلّه في قراءة العقّاد وطه حسين وشعر أبي العلاء وغيرهم، بل كثيرًا ما كان يرى وهو يحرك شفتيه الممتلئتين يردد شعر شاعرٍ، أو مقولة كاتبٍ علقت بذهنه، فلا يُفيقه من عالمه غير نداءٍ لأحد الأهالي، أو فكرةٍ تعنّ إلى ذهنه تصلح لأنْ

تكونَ موضوعًا للكتابة، فيسرعُ إلى مكتبه ليوثّقها قبل أن تنصرفَ من صفاء تفكيره..

وصل إلى حديقةٍ صغيرةٍ، وجال ببصره بحثًا عن كرسيٍّ، كانت أغلب الكراسي بدون خشباتٍ يُجلَس عليها، لا بدّ أنّ الأيادي عبثت بها مثلما عبثت بالفضاء الذابلة أعشابه، وبسلّاتٍ مهملاتٍ أغلبها مقتلعٌ من موضعه،.. أسند ظهره إلى جذع شجرةٍ تيبّستْ عيدانُها، مدّت شيئًا من الظلّ يقيه أسلاك الشمس اللافحة، أرسل بصره في النواحي، شبابٌ يرتدون سراويل فارقت منطقة الوسط تدلّت كعناقيد العنب من كرمها، وارتخت لا شيء يشدّها، وضاقت تكاد تخنق الأفخاذ والسيقان، تلوح فيها فتحات تفرّقت دون هندسة تظهر لحوم الجسد، وشومٌ تناثرت على الأعناق والأذرع، تسريحاتُ رؤوسٍ غريبةٍ، خطوطٌ كأنّها أخاديدٌ شقّت في حقول، أشكالٌ هندسيةٌ؛ نجماتٌ، مسدساتٌ، منعرجاتٌ..، ما هذه الرؤوس وما هذه الأجساد؟ هل هذه هي الموضات الجديدة التي غزت عقول الجيل الجديد؟ يتساءل التهامي وقد سلبه من دوامة تفكيره منظر فتياتٍ قادماتٍ يتر اقصن على إيقاعاتٍ

موسيقيةٍ، تنبعث صاخبةً من هاتف فتاةٍ، يردّدنَ كلماتِ أغنيةٍ إنجليزيةٍ وما التقط مسمعه منها بضعًا، أذكرت التهامي بمسرحيات شكسبيروشعرإليوت، لكن شتّان بين ما ذهب إليه فِكرالتهامي وما يجيش في خاطرهؤلاء الشباب، أمريبعث على الرثاء حقًّا، قالها التهامي في قرارة نفسه وهويهمّ بالانصراف..

..سلك سبيله فوق الرصيف، مقاهٍ مصطفّةٌ على طول الجانبين، تعجّ بلاعبي الورق والشّطرنج أغلبهم رجالٌ مسنون، يتعالى صراخهم في المكان، ملامحُ كئيبةٌ تُشعِربمرارة الانهزام في جولةٍ، وأخرى منتشيةٌ بلذّة الفوز، ضربات اليد تهزّطاولةً هنا وهناك فترتجّ أغطية مشروباتٍ غازيةٍ وقنينات غازٍيستعملها لاعبو الشطرنج "بيادق " في خلق المتعة الزائفة، الشمس في كبد السّماء تغازل الإسفلت والإسمنت، فلا تجد لمغازلتها شيئًا من لذّة الغزل إنّها المدينة، لا شيءَ فيها يبعث على الإحساس بالجمال، كلّ شيءٍ يلهث، يخرِج لسانه من تعبٍ، ينظرفي اتجاهٍ واحدٍ،..

وميض العيون يمتصّها الإسمنتُ والحجرُ، فلا ترقب ذهبًا تنثره الشمسُ على قبّةِ السّماء، ولا صفاء سماءٍ زرقاء تُغْزَل في صفحتها أشكالٌ من سحائبَ تزين اللوحة، ثمّ لا تلبث أن تمحوها قدرة القادر،.. أذان الظهريتعالى من مكانٍ قريبٍ، تتبع مصدرالصوت على الرصيف حتّى أنهى المؤذّن رفع الأذان،.. الدورُ والأزقةُ ملتويةٌ وهو لا يعلم تعاريجها، لاح في طريقه رجلٌ يرتدي بذلةً أنيقةً، ويحمل في يده حقيبةً جلديةً، التفت نحوه التهامي وهمّ بسؤاله، لكنّه ابتعد عنه مهرولًا كمن رأى شبحًا، وقد فهم من إشارة يده أنه يريد مسألة: "ربما ظنني متسولًا، أو محتالًا، أو لصًّا.. هل يمكن أن أكون لصًا و أنا الذي قضيت عمري في تعليم الأولاد وتلقينهم قيمة الأمانة وسوء عاقبة الاحتيال"، قالها في نفسه وقد عنت إلى ذهنه حكايا كليلة ودمنة التي كان يحكيها للأولاد تهذيبًا لهم: سطورٌ تنكتب في ذهنه من حكاية الخبّ والمغفل اللذين اشتركا في تجارة وخبأا الدنانيرَعند جذعِ شجرةٍ، فاختلف إليها الخبّ في غفلةٍ من المغفل، فأخذها كلّها لتكون عاقبته تغريمه الدنانير وضربه والتشهيربه بعد حكم القاضي عليه...، صرفه من تفكيره حواررجلين كان يحمل أحدهما سجادةً، لفتت نظر التهامي فاستبشر؛ لأنّ خطواته هداها الله الى طريق المسجد

دون أن يعرف موقعه بالتحديد،.. تردد في سؤال الرجلين خوفًا من أن يناله منهما ما ناله من صاحب البذلة، إنّه عالَم المدينة، عالمٌ مليءٌ بالحذر، بالخوف، بالرهبة من الآخر،..

المعطي، بوشعيب، باسو، ومي فاطنة وآخرون كثيرون يتراءون له أمام عينيه، يسمع هسيس أصواتهم، تحياتهم، دعواتهم، نداءاتهم، وقع نعالهم، صرير الباب تدفعه الأيادي، أين أنت سي التهامي؟ اشتقنا إليك.. تتردد هذه الأصوات في أذنيه قادمةً من قريته الجميلة، فيجد في نفسه انقباضًا سرعان ما تلاشت غمائمُه بتحية الرّجلين وتبسّمُهما في وجهه؛ ليزدادَ إشراق وجهه، ردّ التحية باتزانٍ ووقارٍ، ومضوا جميعهم إلى المسجد، وضع التهامي حذاءه في عتبة الباب، وأمره مرافقاه بوضعه في كيسٍ مخصصٍ لذلك وإدخاله إلى داخل المسجد حيث توجد رفوفٌ مرقّمةٌ، وقال: لا تنسَ أن تضعه أمامَكَ و أنت تصلّي.

فهمَ التهاميّ مقالة الرجل وعرف أنّ حذاءه لن يكون في مأمنٍ إلّا إذا وضعه أمامه منعًا لأيادي المتربّصين بالأحذية، يا للعار

أتسرق بيوت الله؟! أيّ انحطاطٍ بلغته أمّةٌ كانت خير الأممِ الّتي أُخرجتْ للنّاس؟، قالها التهامي بحرقةٍ يعصرها في داخله عصرًا، وجامع القرية يتراءى له آمنًا مطمئنًا، النعال يجاور بعضها بعضًا تنام هادئة في حضن الأمان، وهي لا تخشى سلب سالبٍ، أو إخطاءة مخطئٍ، اصطفّت الصفوف وتعالى صوت الإمام: استووا واعتدلوا يرحمكم الله.. همهمات وهمسات القرآن تُتلى في الصدور وتكبيرات الإمام تعلن عن ركوعٍ وسجودٍ تتناسق فيه الحركات الخاشعة، تفرّق الجمع وعاد التهامي من حيث أتى، فالكلّ هنا في المدينة ينصرف إلى حال سبيله فور انقضاء الصلاة، لا تحايا تتبادل إلّا بين المعارف،.. مضى التهامي في طريقه متوجهًا نحو القيادة علّه يظفر بقائد المنطقة الذي أخبر في الصباح أنّه قد ذهب إلى مقرّ العمالة لحضور اجتماعٍ خاصٍّ، ولا بدّ أنّه الآن سيعود إلى مكتبه ليقضي مآرب الناس، حثّ التهامي خطاه متحيزًا إلى ظلالٍ رسمتها البيوت، اتّقاء شمس الظهيرة الحارقة.. بلغ مقر القيادة وسأل عسكريًا يقف في المدخل عن القائد فأخبره أنّه لم يعدْ بعدُ من مهمّته،.. فطن العسكري إلى ما بالتهامي من توترٍ فأردف قائلًا: يمكنك أن تذهب لتناول وجبة غذاءٍ،..

انصرف التهامي مومئًا برأسه، و اتجه نحو الشارع المقابل، دخل مطعمًا شعبيًا، وطلب من النادل وجبة غذاءٍ: بضع سمكاتٍ، صحنٌ من الفاصوليا وفلفلٌ حارٌّ،.. تناول التهاميّ وجبته وحمدَ الله و أثنى عليه،.. كان النادل يطوفُ بين المرتادين يلبّي طلباتهم، يمسح الطاولاتِ، ويقدّمُ الوجباتِ، ويجمع الصحون التي مسحتها قطع الخبز، فلم تترك فيها أثرًا لطعامٍ،.. وبينما همّ التهاميّ بإخراج محفظةِ نقوده سمع أحد الخدم في المطعم ينهرُرجلًا متسولًا دخل المطعم يلتمِس العطاء، فالتفت نحوه النادل وهمّ هو الآخر بإخراجه بفظاظة أغضبت التهامي الذي انتفض كالليث ملتمِسًا من النادل ترك الرجل المتسول، أخذ بيده برفق وأجلسه بقربه.. طلب من النادل أن يحضر له طعامًا، أحنى النادل رأسه خجلًا واسترق آخرون نظراتٍ سريعةً للتهامي الذي بدا صنيعه هذا غريبًا،.. المتسول يلتهم على عجلةٍ طعامه، لقماتٌ تِلوَ لقماتٍ يبلعها فم جائعٍ، يتأمل التهامي حركة فكين يتحركان صعودًا ونزولًا وصوت المضغ عنيفٌ تنتجه أسنان ناطقةٌ بالعنفوان تلوك الطعام بلذةٍ وشراهةٍ، سأل التهامي المتسول عن رغبته في مزيدٍ من الطعام فردّ المتسول بإشارة اليد ألّا، والفم ممتلئٌ طعامًا تطحنه الأضراس، كأنّ عهدها بالطعام كان بعيدًا، كان التهامي

راضيًا في قرارة نفسه يشعر بكبرياء المعلّم تجري دماؤه في عروقه، إنّه درسٌ من دروس الأخلاق التي كان يلقنها لتلاميذه ها هي تستمرّ معه بدون سبورةٍ ولا طباشيرَ، قيمة إنسانية عليا تشهدها العيان،.. أدّى التهامي فاتورة الطعام للنادل وهو يهمس في أذنه: " وأمّا السائل فلا تنهر" وهمّ بالانصراف أمام دهشة النادل من هذا الرجل الغريب، رجلٌ ببذلةٍ زرقاء يقود سيارةً فارهةً يقف ليسمح للتهاميّ بالعبور، يتّجه بصر التهاميّ نحو الرّجلِ وهو يرفع يده شكرًا لسماحه له بالعبور، ركن الرجل السيارة حذاء الرصيف، ونزل وهو ينادي على التهامي، اتّجه نحوه والبسمة تعلو وجهه، وقال: المعلم أليس كذلك؟ وقف التهامي مسمّرًا في مكانه لثوانٍ وهو يتأمل شابًا وسيمًا جميلَ الطلعة فقال: نعم أنا المعلّم التهامي وحضرتك من تكون؟.

انحنى الشاب وأمسك يد التهامي وقبلها وشدّ رأسه الذي خطه المشيب وقبله... التهامي مندهشٌ من هذا الشاب، وقال ليقطع دهشة المعلّم: أنا تلميذك المحجوب ابن الشيخ المعطي رحمه الله، هل تتذكرني؟.

نظر التهامي كمن يسترجع شريطًا قديمًا، فعلَتْ وجهه هالةٌ من ضياءٍ، فقال: المحجوب التلميذ المجدّ والنشيط ابن الحاج المعطي "الله يرحمها روح"، فردّ المحجوبُ والكلماتُ تكاد تزدحمُ في لسانه: نعم أنا من كنت تقول لي: سيكون لك شأنٌ عظيمٌ أيّها الفتى الرائع! وها هي نبوءتك أيّها المعلم الطيب قد تحققت، فقد أكملت دراستي العليا في القانون السياسي وها أنا اليومَ مسؤولٌ وازنٌ في عمالة الإقليم، ولكن ما جاء بك معلّمي إلى هنا؟.

قال التهامي: ما شاء الله سي المحجوب، أنا فخورٌ بك يا بني، لقد جئت منذ الصباح؛ لأحصل على ترخيصٍ لبناء حجرةٍ قصد تعليم رجال ونساء القرية، فقد أحلت على المعاش منذ سنتين، وقد نظرت في كبار السن فرأيت جهلًا مستشريًا وأميّةً عشّشت في الرؤوس، فأردت إكمال رسالتي حتّى ألاقي ربي وقد بلغت الرسالة وأديت الأمانة.

اغرورقت عينا المحجوب وتحامل على نفسه حتّى لا يبدي تأثره البليغ بهذا المعلم الفذّ، لكن التهامي فطن إلى ما بتلميذه، فغيّر نبرة كلامه قائلًا: عليّ أن أذهب الآن إلى مقرّ القيادة فقد يكون القائد في مكتبه الآن.

تبسم المحجوب وربّت على كتف معلمه والتمس منه مر افقته، بلغا مقرّ القيادة، الجسد الملفوف في زيه العسكري ينتصب في استقامةٍ ر افعًا كفّه حذاء جبهته البارزة فور رؤيته للمحجوب، وعيناه الضيقتان لا تزيغان من محجريهما تقدم سي المحجوب بثباتٍ تتقدمه هيبته في المقرّ، والتهامي بجواره يحسّ بنفسه ضئيلًا أمام هذه الهيبة التي كان يجدها بين التلاميذ وأهل القرية فقط،.. طرق المحجوب باب مكتب القائد، والتمس من التهامي أن ينتظر للحظةٍ، طرق الباب ودخل كمن يعرفُ المكان، فما أن رآه القائد حتى وقف من مكانه كالمستفيق من غفوةٍ، و أقبل نحوه يحييه بحرارةٍ، وأخبره أنّه يحمل له مفاجأة لا يمكن أن تخطر على باله، ظلّ القائد محمد مندهشًا، وقال: سي المحجوب هات مفاجأتك فأنت تعلم أنّي لا أطيقُ الانتظار، فقال المحجوب: حسنًا سي

محمد إنّها مفاجأةٌ من نوعٍ خاصٍّ قالها وهو يهمّ نحو الباب، فطلب من التهامي الدخول، وقعت عين القائد على رجل طويل القامة، عريض المنكبين، وجهٌ مشرقٌ تغشاه أنوارٌ إلهيةٌ لم تزدد إلا إشراقًا والتماعًا عمّا كانت عليه منذُ عقدين ونيفٍ من الزمن، حضن القائد المعلّمَ التهاميّ، وقبّل رأسه ويديه وسي التهامي يحاول أن يصرف كفّه عن شفتي القائد الذي تلعثمت الكلمات في لسانه وهو يقول: معلّمي سي التها.. لم يجرؤ على نطق اسمه في حضرة المعلّم، الذي لاتزال هيبته تلوح بين عينيه، وهو يصرخُ بملءِ فيه في وجوههم الصغيرة يدورُ بين الصفوف بلا توقف، وبصاقه يتناثر هنا وهناك لا تكاد سُحنة من السحنات البريئة تنجو منه، يقرأ الآي من القرآن يرددونها وراءه حفظًا، و إتقان تجويدٍ، وإحكام قراءةٍ، ونبرات صوته وهو يقرأ قصيدةً من عيون شعر العرب دون أن ينظر في القراءة يحفظها ويشرح معانيها ثم يأمرهم بحفظها، وإلّا كانوا عرضة لعقاب لن يتوانى التهامي في تنفيذه، لربما تذكر يوم أوقفه التهامي على قدمٍ واحدةٍ في زاوية الحجرة حينما نسي حفظ جزء من سورة الواقعة، فغضب المعلمُ غضبته التي ترتجّ لها الجدران، أو يوم وصل متأخرًا إلى الفصل وقد بللّ المطر دفاتره، فغضب التهامي ووبخه على إهماله؛ لأنّه

لم يضعها في كيسٍ بلاستيكي ويحكم إغلاقه، فقد كان في الفصل المطير كثيرًا ما يأمر تلاميذه بحماية دفاترهم من قطر السماء،.. صرفه من دوامةِ تذكره صوت سي المحجوب، وهو يقول: ما رأيك في هذه المفاجأة؟ ردّ القائد وأساريره زادت إشراقًا: ونِعم المفاجأة سي المحجوب، صرف نظره نحو سي التهامي وقال: لقد افتقدناك معلمنا كثيرًا.. وأردف سي المحجوب: هذا هو سي محمد ابن الحاج موسى صاحب الدكان، تغمّده الله بواسع رحمته..

سي التهامي: ومن ينسى الحاج موسى التاجر الأمين السمح - رحمة الله عليه-، والتمس من المحجوب والتهامي أن ينزلا ضيفين في بيته لكنهما شكرا للقائد كرمه والتمس سي المحجوب من القائد أن يلبي طلب المعلم، وعلى الفور ملأ سي محمد الوثائق اللازمة وأشرف عليها بنفسه، وفي لحظاتٍ قليلةٍ صيغت الرخصة وقُدّمت للمعلّم.

شكرَ التهاميّ الذي شعر بالفخر أن رأى شجرتين من غراس كدّه في حقل المعرفة صارت ثمارها يانعةً، تؤتي أكلها بإذن ربّها،

وحمد الله أن سخّرَله غراسه ليقضي مأربه ويستمرّ في تأدية إحسانه في الحياة.

خرج التهامي من مقر القيادة يقتاده سي المحجوب الذي ألحّ عليه في البقاء، لكن التهاميّ أبى ووعد بالزيارة، لم يستسغْ المحجوب أن يذهبَ معلمه خالي الوفاض، وقد استجاب لسي محمد الذي فطن إلى مراده بغمز العين، فأخذه في رحلةٍ قصيرةٍ نحو إحدى المكتبات الكبرى فاقتنى كتبًا في الشعرِ والأدبِ واللغةِ، قدّمها هديةً للمعلّم، فرح التهامي بهذا الصنيع فهو لا يستطيعُ أن يردَّ الهدايا خاصّةً من الكتب، شكر لتلميذه المحجوب جائزته ودعا له بالتوفيقِ والسدادِ.

اتّجه نحو مقهىً؛ ليستريح قليلًا قبل أن يشدّ رحاله نحو القرية، فسيارات الأجرة لن تغصّ بالركابِ حتّى تفيء الظلال، توجّه نحو مقهىً، واتّخذ له موضعًا منعزلًا عن المدخنين، جاء النادل وطلب منه فنجان قهوةٍ وجريدةَ اليوم لكنّ النادل اعتذر وهو يضحك بملءِ فيه قائلًا: سيدي هنا -وفي غير هذا المقهى- لا وجود لجرائد، هنا فناجين القهوة تُرتَشَف لساعاتٍ

وكؤوس الشاي وغيرها من المشروبات فقط لا غير، وأردف قائلًا: هذا زمن " الويفي " انظر إلى الكلّ ممسكًا بهاتفه، آه يا سيدي لقد مضى زمنُ الجريدة والمجلةِ، قالها وهو يصعد آهةٍ حرّى، ثم انصرف لتلبية طلب التهامي وغيره من الزبائن.

أحسّ التهامي من كلام النادل قصةً يخفيها داخله، فدفعه الشّغف إلى التّعرف على هذا النادل الشّاب، تفضل سيدي قهوتك، همّ النادل بالانصراف وسأله التهامي قائلًا: بدا لي من كلامك أنّك على قدرٍ من المعرفة.. ردّ النادل متنهدًا: دبلوم دراسات معمقةٍ في الفيزياء الفلكية، وإجازة في الأدب الإنجليزي، وها أنت تراني نادلًا شقيًا، أعتصر كليمونةٍ يومًا بعد يومٍ،.. هزّت هذه الكلمات قلب التهامي وحركت وجدانه، وقال: الفرج قادمٌ بني و أنشد: أعلل النفس بالآمال أرقبها. فأكمل النادل قائلًا: ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل، تبسّم التهامي من الشّاب المثقف ودعا له بالتوفيق وتفريج الكرب، ارتشف المعلّم من قهوته رشفاتٍ جعلته يحسّ بانتعاش عقله، فالقهوة السوداء شرعت في تدفيق الكافيين في العروق مع الدماء، وزال شيءٌ من فتورٍ كان يدبّ إليه، جال ببصره في

المقهى، فرأى رؤوسًا مطأطئةً في خشوعٍ نظراتُها لا تزيغ عن شاشاتِ الهواتفِ، والأصابعُ تضغطُ وتمرّرُ فوقها بخفةٍ ورشاقةٍ، لا كلام ولا سلام بين المرتادين، حتّى الطاولات التي يجتمع فيها عددٌ من الروّاد يلفّها الصمت ويُخيم عليها الوجوم،.. لاحظَ النادل نظراتِ التهامي فأقبل نحوه، وقال: أرأيت بنفسك الكلّ غارقٌ في عالمه، لقد سلبت التكنولوجيا عقول الناس ومزّقت الأواصر..

فقال التهامي: أخشى على هؤلاء من أن يصنعوا هذا في البيوت فيموت الحواربين أفراد الأسرة.

فردَّ النادلُ مستغربًا: أولست تمتلك هاتفًا ذكيًا سيدي، أخرجَ التهامي هاتفًا قديمًا، فنظر إليه النادل وقد ألمح أكياسًا بجانبه ظهر منها كتابٌ، فقال: أنت رجلٌ من زمنٍ آخر سيدي، تحبّ القراءة، هل كلّ ما في الأكياس كتب؟.

ردّ التهاميُّ بفخرٍ: نعم أهداني إياها رجلٌ التقيته صدفةً، كان واحدًا من تلاميذي.

فقال النادل: إذن أنت مدرسٌ سيدي.

فردَّ التهاميُّ: نعم، أحلت على التقاعد منذ سنتين.

النادل: بوركت سيدي المدرّس قالها وهو ينحني إجلالًا واحترامًا، وأردف قائلًا: كاد المعلم ان يكون رسولا.

استجاب النادل لنداء زبونٍ فاستأذن في أدبٍ من التهاميّ ليلبّي الطلب سريعًا،.. ارتشف التهامي آخر رشفةٍ من كوب قهوته وشرب كأس ماءٍ، ثمّ نادى على النّادل ودفع الثمن وأخرج ورقةً نقديةً قدّمها للشّاب، لكنّه أبى أن يأخذها فدسّها في جيبه ودعوات الخير تنثال عليه..

توجّه التهامي نحو محطة سيارات الأجرة الكبيرة، مضى في خطوٍ متئدٍ، تراءت له سيارات الأجرة الرمادية وذات الأزرق السماوي، وتناهت إلى سمعه أصوات السائقين و"الكورتيا "

تختلط مع بعضها البعض، كلٌّ ينادي الى وجهةٍ يرتادها، يحاول أن يميّزها فيصغي بشدةٍ إلى مسمّى وجهته، ثمّ اتّجه نحو سيارة أجرةٍ كان سائقها على أهبة الاستعداد للانطلاق نحو بادية مكناس، صوته الجهور يتعالى وسط بقية الأصوات: "بلاصة بلاصة سيدي معروف"،.. أخذ التهامي مكانه في زحمة السيارة بعد أن وضع رزمة كتبه في داخل صندوق السيارة..

المذياعُ يشنّف المسامعَ بقارئة الفنجان، السائق يردّد في انتشاءٍ: إنّي أغرق أغرق تحتَ الماء، تبسّم التهامي، وقال: طرب الزمن الجميل، هذه قصيدة لنزار قباني،.. نظر السائقُ إلى التهاميّ وتبسّم وقال: وألحانُ بليغ حمدي سيدي..

مضت سيارةُ الأجرةِ تشقّ طريقها واللحنُ الجميلُ يشنّف الأسماع.. أسندَ التهاميّ رأسَه على جانبٍ من الباب الخلفي، وغفا غفوةَ متعبٍ من عناءٍ،.. تلاحقت مشاهد من المدينة في ذاكرته أخرجه من دوامة مشاهده صوتُ السائق قائلًا: الحمد لله على سلامتكم، وقارئة الفنجان لا تزال صادحةً: في حياتك يا ولدي امرأة سبحان المعبود،..